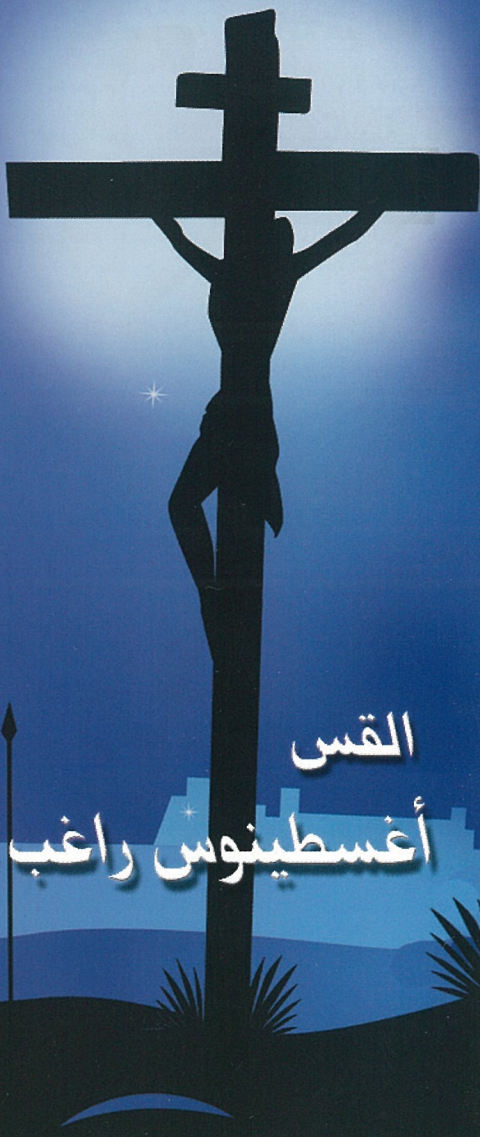


أولويات
الحياة المسيحية



القس

أغسطينوس راغب حنا

أولاً . . أولويات الحياة المسيحية

يجدر بنا أن نعيد النظر في ترتيب أولويات الحياة الروحية والحياة المسيحية عموماً. توجد آيات وأشياء فى غاية الأهمية وضع لها رب المجد يسوع المسيح رقم ١ فى حياتنا وقال أنه يجب مراعاتها أولاً وقبل أى شئ آخر، ومن هذه الآتى:

١ - الوصية الأولى والعظمى:

كيف تبدأ الديانة السليمة والعلاقة مع الله؟ هل بالصلاة أم بالصوم؟ .. بالعطاء .. بالذهاب إلى الكنيسة .. بعمل الخير؟ كلا. فهذه كلها مهمة ولكن تأتى ثانياً ويجب أن يسبقها شئ آخر بحيث لو خلت منه فلا تنتفع شيئاً. فما هى البداية؟ إسمع إذن هذه القصة:

حاول شاب دخول كلية لاهوتيه فأراد الأسقف عميد الكلية أن يمتحنه فسأله لماذا فضّلت كلية اللاهوت الاكليريكية، عن كليات الطب والقانون والهندسة التى يتهافت عليها زملاؤك؟ فأجاب الشاب: لأننى ولدت فى عائلة متدينة وتعلمت الصلاة والصوم والذهاب للكنيسة منذ صغرى. قال له الأسقف: هذا حسن ولكنه لا يكفى.

فلما تحير الشاب ابتدره الأسقف بالسؤال: ألا تعرف إنك ارتكبت أكبر وأعظم خطية بل جريمة يمكن أن يرتكبها إنسان؟!

وهنا زهل الشاب واعترض مستنكراً: أنا؟ لا يمكن. فلا بد إنك تقصد شخصاً آخرأ. فلما قال له: أنا أقصدك أنت. زادت حيرة الشاب وانعقد لسانه. فسأله الأسقف: ما هى أكبر خطية أو جريمة فى

نظرك؟ أجاب القتل. قال له: لا. أجاب: الزنى.
قال: لا. فأخذ يعدد السرقة السكر، تعاطى
المخدرات .. فكانت دوماً الإجابة: لا. لا. لا!
سأله الأسقف: ما هي أول وأعظم وصية؟ وإذ لم
يعرفها الشاب، فتح له انجيل مرقس على الآية ١٢:
٢٨-٣٠ "سأله واحد من الكتبة أيه وصية هي أول
الكل؟

فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي تحب الرب
إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك
ومن كل قدرتك، هذه الوصية هي الأولى
والعظمى" (مت ٢٢: ٣٨).

وسأله: هل حفظت هذه الوصية؟ أجاب: "لا
أستطيع أن أدعى أنني حفظتها. فأنا أحب الرب
ولكن ليس من كل قلبي وكل فكري وكل نفسي وكل
قدرتي". فعاد يسأله إذن أي وصية كسرت؟
- أجاب: الأولى والعظمى.

فسأله إذن أي خطية ارتكبت؟ قال: الخطية الأولى
والعظمى.

قبله العميد في كليته ولكن بعد أن أعطاه درساً هاماً
لتصحيح المسار والبدء بأول خطوة صحيحة في
الطريق الصحيح. لأنه عندما نحب الرب أولاً من
كل القلب والفكر والقدرة نحب كلامه (الإنجيل).
فيكون الإنجيل أولاً كل يوم، ونحب الحديث معه
أي الصلاة، ونحب زيارته في بيته أي الكنيسة
ونقدس يومه (الأحد)، ونثبت فيه عن طريق
التناول، وندرب أنفسنا على قمع أجسادنا أي
بالصوم ونعطي الفقير حاجاته كما للمسيح. وهكذا

تكون جميع ممارساتنا الروحية مقبولة ومحبة وطبيعية لأنها معمولة بدافع محبة الرب من كل القلب والفكر والقدرة.

٢ - أول طلب - ملكوت الله وبره:

ترى ما هو أهم طلب في الحياة؟ أهو المال أم العلم أم الوظيفة أم الأكل والشرب واللبس أم الزواج؟ قد تكون هذه كلها طلبات هامة وجوهرية ولكن يجب أن يسبقها طلب شيء آخر أهم. قال الرب يسوع " هذه كلها تطلبها الأمم (الوثنية) أما أنتم فأطلبوا أولاً ملكوت الله وبره. وهذه كلها تزداد لكم" (مت ٦ : ٣٣).

إن هذا الطلب الأول مرتبط بالوصية الأولى سالفة الذكر، لأننا عندما نحب الرب من كل القلب يكون أول مطلب لنا هو ملكوته وبره. لقد علمنا أن نطلب "ليأت ملكوتك" بمعنى أن يملك على قلوبنا وحياتنا وأسرتنا، وأن يمتد ملكوته وينتشر في كل العالم، وأن يأتى الرب يسوع ثانية في ملكوته الأبدى المجيد السعيد.

عندما نصح الترتيب ونطلب ملكوت الله أولاً تزداد لنا الأشياء الأخرى التي لم نطلبها، لأن أبانا السماوى يعلم باحتياجتنا إليها فيعطيها لنا بسخاء. أما إن جعلنا طلب ملكوت الله في ذيل قائمة الاهتمامات، أخشى أن نفقد الجميع أو نتعب باطلاً.

٣ - الشكر أولاً:

وضع الرسول بولس الشكر في أول الصلاة وأول الكلام فقال في مقدمة رسالته الى رومية " أولاً أشكر إلهي" (رو ١ : ٨).

فقبل أن نطلب أى طلب، يجب علينا أولاً أن نشكر على الماضى واحسانات الله الكثيرة السابقة، فهذه مسألة ذوق ولياقة واعتراف بالجميل. لقد خلقنا الله وأوجدنا من العدم ولم يكن مطالباً بذلك. وخلقنا أصحاء. وغير مشوهين فكم تساوى عطية العقل السليم؟ وكم تساوى نعمة النظر؟ كم يساوى الهواء الذي نتنفسه والماء الذي نشربه والشمس والدفئ والمأكل والملبس والسكن والعائلة وكل الخير الذي يغمرنا؟ وكم وكم تساوى البركات الروحية ونعمة خلاصه وإنجيله وكنيسته وتناول جسده ودمه وعرش النعمة المفتوح لنا وعنايته وحفظه ورعايته إلخ. إن الله ينتظر منا الشكر ولما شفى العشرة برص لم يعد ليشكره منهم سوى واحد فقط. فسأل أين التسعة؟ (لو ١٧ : ١٧).

حسناً وضعت الكنيسة صلاة الشكر أولاً فى الأفراح والأحزان وكل خدمة حسب هذا الترتيب السليم وهى صلاة مختصرة جداً يمكن أن نضيف إليها عشرات الأشياء التى نشكر الله عليها أولاً وقبل كل شئ وإلا تحولت صلواتنا إلى طلبات أنانية صبيانية على مستوى الشحاذين! ولذلك يوصينا الكتاب: "شاكرين كل حين على كل شئ" (أف ٥)

٤ - المصالحة أولاً:

وضع السيد المسيح المصالحة أولاً قبل العبادة، وإلا كانت العبادة من صلاة وصوم وعطاء مرفوضة! فقال له المجد فى الموعدة على الجبل: "إن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فأترك هناك قربانك قدام المذبح وإذهب أولاً

إصطَلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدام قربانك”
(مت ٢٤ ، ٥ : ٢٣).

فإن ظلمت أحداً أو أسأت إليه فلا تقدم قرابين قايين المرفوضة من الله ولكن تغلب على كبرياء قلبك وإذهب أصطَلح مع أخيك وعندئذ فقط تكون قرابينك مقبولة. ولذلك حسناً وضعت الكنيسة صلاة الصلح في مقدمة القداس، وليس الصلح فقط بل ممارسة القبلة الرسولية فينادى الشماس ”قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة“. أما إذ تهرّب أحد من المصالحة وقبلة المحبة وأخذ مكاناً بعيداً ممن يجب أن يصلحه فإنه يخدع نفسه وإن تناول من الأقداس كان يأكل ويشرب دينونة لنفسه (١ كو ١١ : ٢٩).

٥ - تنقية الداخل أولاً:

أية نظافة هي المطلوبة أولاً.. نظافة الجسد أو الروح والروح؟ نظافة الخارج أم الداخل؟ ”شياكة“ الملابس وديكور المنزل أم القلب؟ وجه الرب يسوع حملة شعواء على الفريسيين ووصفهم بالرياء والعمى ”لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من الداخل مملوءان إختطافاً ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نقي أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً“ (مت ٢٣ : ٢٦). قال أحدهم: أن الناس يهتمون بنظافة أحذيتهم أكثر مما يهتمون بنظافة أرواحهم ونقاوة قلوبهم!

أن ترتيب الأغتسال والتطهير والتنقية يجب أن يبدأ

بالداخل ولذلك طوّبي الرب أنقياء القلب لأنهم يعاينون الله، وبدون قداسة لن يرى أحد الرب، ويقول لكل منا كما لبطرس "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب" (يو ١٣ : ٨). أما وسائل تنقية القلب فهي التوبة والأعتراف والتناول والصلاة والابتعاد عن الأماكن والمناظر الشريرة والقراءة اليومية في كلمة الله إذ يقول "أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يو ١٥ : ٣).

٦ - أول العلاج والأصلاح:

هل هو أصلاح الآخرين أم نفسى. إن الوضع الإلهى السليم هو البدء بالذات أو بالنفس. يقول الرب متعجباً: "لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها . . يا مرأى أخرج أولاً الخشبة التى فى عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت ٧ : ٣ - ٥). وفى نفس المعنى قال فى مناسبة أخرى "من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر" (يو ٨ : ٧).

إذن إن كنت غيوراً على الأصلاح فاعلم أن أول الاصلاح والعلاج يبدأ بنفسك أنت. جاهد ضد ذاتك ولا تغضب من الآخرين بل أغضب أولاً على عيوبك ونقصاتك وخطاياك . . . نعم اقتلع هذه الرذائل أولاً واقتن الفضائل لتكون أهلاً لعلاج الآخرين.

٧ - حساب النفقة أولاً:

لا يمكن بناء برج ولا الخروج لحرب بدون الجلوس أولاً وعمل حساب النفقة. هذا هو تعليم المعلم الصالح وهذا هو نظامه وترتيبه الحكيم السليم (لو ١٤ : ٢٨). وعندما قال "يجلس أولاً ويحسب .." عرفنا أن هذه القرارات المصيرية الخلاصية والمتعلقة بالتلمذة لا تتخذ بعجلة أو "على الماشى" ولكنها تحتاج لجلسة تفكير وتدبير وتروى وحساب دقيق وإلا أنتهت بالفشل والسخرية "هذا الإنسان ابتداء ولم يقدر أن يكمل" (لو ١٤ : ٣٠). إن لم نحسب التضحيات والنفقات والخسائر الأرضية والجسدانية ونثبت ونحارب وننتصر فسوف نرتد مثل يهوذا وديماس وامثالهم.

٨ - أول العطاء:

أى عطاء يأتى أولاً .. العشور والمال أم القلب؟ وصف بولس سخاء أهل كورنثوس فى العطاء والتوزيع بقوله لأنهم "أعطوا أنفسهم أولاً للرب". إن من يعطى نفسه أولاً للرب يستطيع أن يعطى كل شئ آخر بسرور وبسهولة وبسخاء. ولكن من لا يعطى نفسه وقلبه أولاً للرب فلن يستطيع أن يعطى شيئاً له قيمة فى نظر الله والناس.